

اتبعوا ولا تبتدعوا

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، أما بعد:

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، وتمسكوا بسنة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المؤمنون، لقد أكمل الله هذا الدين ورضيه وأتم به نعمته ولم يترك في سبيل الهداية قولاً لقائل، ولم يدع مجالاً لمتشرع، فالعاقد على الكتاب والسنة بكلتا يديه مستمسك بالعروة الوثقى، ظافر بخيري الدنيا والأخرى: قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:3]. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:153].

روى الطبراني بإسناد حسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلا قد أمرتكم به، وما تركت شيئاً مما نهاكم عنه إلا قد نهيتكم به»

كل عبادة لم يأذن به الشرع فمردود على صاحبه، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «(مر عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)» (أخرجه مسلم)

يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله في السنن الراشدة: "سن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وولاه من بعده سننا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله، ليس لأحد تغيير فيها، ولا النظر في رأي يخالفها، من اقتدى بها فهو مهتد، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً."



أيها المؤمنون: لقد رسم الشرع للعبادات والتكاليف طرقاً خاصة على وجوه خاصة زماناً ومكاناً، وهيئة وعدداً، وقصر الخلق عليها أمراً ونهياً، وإطلاقاً وتقييداً، ووعداً ووعيداً، وأخبر أن الخير فيها، والشر في تجاوزها وتعديها.

ومن رام غير ذلك، وزعم أن ثمة طرقاً أخرى، وعبد الله بمستحسنيات العقول؛ فقد قدح في كمال هذا الدين، وخالف ما جاء به المصطفى الأمين، عليه أفضل الصلاة والتسليم، واستدرك على الشريعة .

يقول ابن الماجشون: سمعت مالكا رحمه الله يقول: " من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة؛ فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خان الرسالة؛ لأن الله يقول: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} فما لم يكن يومئذ ديناً؛ فلا يكون اليوم ديناً."

وغاية ذلك أن يعلم أنه ليس ثمة إلا طريقان:

إما طريق الشرع، وإما طريق الهوى... يقول الله عز وجل: {فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ لَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ} [القصص:50].

لقد حصرت الآية الكريمة الحكم في أمرين لا ثالث لهما: إما الاستجابة للمصطفى، وإما اتباع الهوى.

ولئن قصد صاحب البدعة، أيها الإخوة، ببدعته التقرب إلى الله والمبالغة في التبع؛ فليعلم أن في هذا مداخل للشيطان عريضة في مسالك ملتوية ووساوس مميلة، ولم يرض هذا المبتلى بما حدّه الشارع وقدره؛ فخرج عن هذه الضوابط وتفوّت من هذه القيود، وقد يصاحب ذلك عجب وحب في الظهور، مع ميول النفس بطبعها إلى قبول الجديد الذي لم تعهده قطعاً للسّامة والملل.

إن القيام بالتكاليف الشرعية فيه كلفة على النفس؛ لأن فيه مخالفةً للهوى، ومنازعةً للربّات، فيثقل هذا على المبتدع، والنفس إنما تنشط بما يوافق هواها، وهذا تفسير ما كثير من الناس من إقبال على البدع، وإعراض عن السنن.



وقد تأكد في الأخبار النبوية أنه ما قامت بدعة إلا وأميتت سنة.

أخرج أحمد والبخاري من حديث غصيف بن الحارث مرفوعاً: ((ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة.)) إسناده جيد كما قال الحافظ.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واعلموا أن في ظهور البدع انطماساً للسنن، فالسعيد من عضَّ على السنة بالنواجذ، فأحياها ودعا إليها، فردَّ الله به مبتدعاً، وهدى به زائغاً وأنقذ به حائراً.

ومن هنا فإنه قد يظهر من صاحب البدعة اجتهاد في العمل والعبادة، وما هذا إلا لخفة يجدها، ونشاط يشعر به لما فيه من موافقة الهوى. ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صِنَاعًا﴾. وإنَّ قصداً في السنة خير من اجتهاد في بدعة.

قال قتادة رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: 105]. قال: هم أهل البدع.

أخرج الدارمي بسند صحيح أن أبا موسى الأشعري قال لابن مسعود رضي الله عنهما جميعاً: "إني رأيت في المسجد قوماً حلقتهم جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى فيقول: كبروا مائة فيكبرون مائة، فيقول: هللو مائة فيهللون مائة، فيقول: سبحوا مائة فيسبحون مائة. قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟؟ ثم أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصى نعدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد، قال: فععدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم؛ هؤلاء أصحابه متوافرون. وهذه ثيابه لم تبل، والذي نفسي بيده أنتم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة؟! قالو



"والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه؟".

وروي أن رجلاً قال لمالك بن أنس: من أين أُحرم؟ قال: من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الرجل: فإن أُحرمت من أبعده منه؟ قال: فلا تفعل فإني أخاف عليك الفتنة. قال: وأي فتنة في ازدياد الخير؟؟ فقال مالك: فإن الله تعالى يقول:

{ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }

أيها الإخوة في خبر ابن مسعود وأثر الإمام مالك ما يقطع دابر شبهة يتمسك بها المبتدعون، حيث يقولون للمنكرين: هل تحرمون علينا التكبير والتسييح والتهيل..؟

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاُولَئِكَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }

{ الأعراف 157 }

